

تربية أولادنا بين الواقع والواجب

الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المرسل رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الاهتمام بالتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ومعرفة أسبابها وسبل الوقاية منها وعلاجها أمر حتمي واجب على كل من بوسعه أن يدلي بدلوه في هذا الميدان، ولعل العلماء والخبراء والباحثين هم الذين يتحملون العبء الأكبر من هذا الواجب، العظيم الأثر، الكبير الخطر؛ لأنهم ينيرون السبيل أمام الأمة رعايتها ورعيته، ويسهمون في صيانتها من الأخطار المحدقة بها، بما يقدمون من نتائج جدهم واجتهادهم من أبحاث وحلول وعلاج إلى من بيدهم التنفيذ، وللجميع أجر المجتمع والعامل لأنهم شركاء في رعاية مصالح الأمة وصيانتها والحفاظ عليها.

وما أكثر التحديات التي تواجهها أمتنا؛ من فقر وتصحر وتلوث بيئية ... وغيرها من القضايا الاجتماعية والتربوية والاقتصادية . . . إلى جانب التحديات المترتبة ناشئتنا؛ أولادنا.

وقد آثرت أن أتناول هذه التحديات تناولاً موضوعياً مركزاً على محاور تربيتهم الأسرية، والمدرسية والاجتماعية مؤيداً بالأدلة، مجتهداً - ما بوسعي - في تقديم بعض الحلول؛ لأن أولادنا اليوم رجال الغد، عيوننا متعلقة بهم وآمالنا معقودة عليهم، وأن بناء شخصيتهم بناء فداً وتحصينهم بالوقاية اللازمة وتبصيرهم بحقائق الأمور يحفظ لنا فلذات أكبادنا ويسهم إسهاماً كبيراً في بناء مستقبل أمتنا، فهم أملنا من النهوض من كبوتنا وبناء مجد قريب - إن شاء الله - يعيد لأمتنا دورها العظيم.

سائلاً الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما اخترت وقدمت، خالصاً لوجهه الكريم بيده الخير وهو على كل شيء قدير إنه ولي السداد والرشاد والتوفيق.

أولاً - بين يدي الموضوع:

من المسلم به عند علماء التربية والمصلحين أن التربية تتناول الفرد في وسط اجتماعي له عقيدته وعاداته وتقاليده وأعرافه، وأن ميدانها الإنسان بما فيه من فكر ووجدان وروح وجسد، وأنه لا بد من أهداف للعملية التربوية مهما يكن شأنها وزمانها ومكانها، حتى في أبسط المجتمعات، التي تسعى لأن يحصل الفرد على كسب غذاء يومه وكسائه، أو لتحقيق ذاته، لإثبات شخصية عشيرته وقبيلته في قادمات الأيام، أو السعي لتنميته في جميع مكوناته، إلى أن انتهت أهداف التربية إلى إعداد المواطن الصالح، ثم إلى إيجاد الإنسان الصالح.

وهذا التفاوت في مقاصد العمليات التربوية وغاياتها مرده إلى اختلاف الأمم والمجتمعات، وإلى التطور الدائم الذي يعتري الحياة؛ فيقتضي تطور العملية التربوية وتطوير مناهجها وأساليبها ووسائلها وكل ما يحقق أهدافها.

ومع كل هذا فهناك ثوابت في الكون والطبيعة الإنسان ذاته يجب أن تمنح العملية التربوية صفة الثبات في كثير من محاورها.

ومن المسلم به أيضاً أن للعلمية التربوية أسساً متعددة تستند إليها العملية التربوية من الناحية الفكرية؛ وأساساً اجتماعياً؛ لأن العملية التربوية لا تكون إلا في وسط اجتماعي، ضاق أم اتسع، بسيطاً كان أو معقداً، وللمجتمع قيمه وأهدافه وتقاليده.

هذا إلى جانب الأساس النفسي الذي هو محل التربية وميدانها، وترتكز عليه بقية محاور التربية والتنمية في الفرد من الناحية العقلية والبدنية والروحية؛ لما لمعرفة نفس من نتعدهه بالتربية من أثر بعيد وخطير في نجاح العملية التربوية أو إخفائها. ولذا يجتهد المربون في بيان الحاجات النفسية للصغار، ويؤكدون على أهمية إشباعها وتحقيقها باعتدال وانتظام.

ومن المعلوم أن مختلف أنواع المؤسسات المالية والصناعية والزراعية والتربوية تقيم أوضاعها وخططها في سبيل تحقيق غاياتها، وأن الأمم المتقدمة تقيم مؤسسات خاصة بالبحوث لتقف على أسباب تخلف مردود مؤسساتها المختلفة، كما أنها في أحوال الهزائم أو التخلف تجند فرقاً من الخبراء والباحثين لدراسة النظم التربوية وتحليلها، ومعرفة إمكاناتها لترميم الواقع، أو النهوض به؛ إيماناً منها بأن الإنسان بنفسه وفكره وبقية مكوناته هو المحور الذي تدور عليه عجلة الحياة، بل هو الأساس في التقدم والرقي والازدهار. حيثما كان موقعه من ميادين الفكر والعمل والتنفيذ، فإن التغيير متوقف

عليه، بل على نفسه وتكوينها وحسن تأهيلها وتنميتها . . . مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:11]

الذي يؤكد أن بدء التغيير إنما يكون من النفوس، والنفوس هي مسرح أو ميدان العملية التربوية¹. وكذلك يبين الله عز وجل أن ما ييسره لعباده من نعم مادية أو أدبية (معنوية) على اختلاف أنواعها ومستوياتها لا يغيرها ولا يحرم منها أو من بعضها حتى يغيروا ما بأنفسهم من أحوال . . . بكفران نعم الله سبحانه، أو انتقاصها أو عدم شكرها وحمده على إحسانه، أو الوقوع في معاصيه وترك أوامره؛ فبانحرفهم عما أمر الله تعالى نتيجة دوافعهم النفسية وتغيير سلوكهم استحقوا تغيير تلك النعم، مصداقاً لقوله عز من قائل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾² [الأنفال:53].

ولو أدوا حق شكرها بالمحافظة عليها لزادهم رب العالمين، مصداقاً لقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7]. ولا يخفى على أحد ما لحق بالأمة الإسلامية من ضعف في موازين القوى المادية نتيجة الغزو الصليبي إذا جمد نشاطها في العطاء واستمرار التقدم، ووجهت كل طاقات الأمة لمواجهة الزحف الصليبي وصدده وردده على أعقابها، يسحب ذيول الهزيمة. ثم وجهت طاقات أمتنا آنذاك لإصلاح وترميم ما أفسده ذلك الغزو الغاشم، ثم للتحرر من الاستعمار والانتداب والتبعية.

غير أن عقيدتها وقيمها لم يعتربهما على الأغلب تغيير كبير؛ مما هيا لها أن تستعيد عزتها وكرامتها على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي جمع شمل الأمة شرقاً وغرباً وحرر الديار. وأدرك أعداء الإسلام أنه لا سبيل لهم إلى ديار المسلمين عن طريق القوة.

وأدركوا أن التأثير على النفوس بالتشكيك في العقيدة حيناً، وفي الرسالة أحياناً، وبإثارة الشُّبُه حول شريعة الإسلام التي ارتضاها الله تعالى لعباده تارة، وبإثارة الفتن والنعرات المختلفة، والسعي إلى

(1) وتشير تمة الآية الكريمة إلى أن هذا الأمر حتم لا مَرَدَّ له ، وأن سبيل التغيير اتباع المنهج الرباني في تربية النفوس (ما لهم من دونه من وال) ، فإذا عرفنا أن من معاني الولاية النصر والتأييد اتضح لكل ذي لب من هذه الآية ما للنفس من أهمية كبيرة في التغيير وما للمنهج الرباني من دور عظيم في نهضة الأمة وتقدمها.

(1) انظر فتح القدير ج 2 ص 318.

إيقاع الفرقة بين المسلمين تارة أخرى . هو السبيل الأيسر والخفي للسيطرة عليهم وعلى بلادهم. فكثرت المؤتمرات المعادية للإسلام والمسلمين وحيكت المؤامرات للخلاص من الخلافة الإسلامية (الرجل المريض)¹.

وتتابعت النكسات على العالم الإسلامي، وصحت البلاد الإسلامية في مطلع القرن العشرين وخلال العقود الستة الأولى على أوضاع وحقائق مزرية إذ رزحت بعض الأقاليم الإسلامية تحت نير الاستعمار أو الانتداب، أو القهر بالقوة للتخلي عن عقائدها كما حل ببعض البلاد الإسلامية إثر الثورة الشيوعية، وأمضت رداً من حياتها بمقاومة الاستعمار، وتحرير الديار، ثم أدرك رجال الفكر والصحة الإسلامية ما أصاب الأمة في شخصيتها، وإثبات ذاتها فاجتهدوا في بيان سبل العلاج والوقاية².

مما سبق يتبين لنا أن ما أصاب شخصية أمتنا الإسلامية من ضعف أو اضطراب في ولائها، وتمسكٍ واعتزازٍ بهويتها إنما هو بسبب تغيير مفاهيمها وقيمها وما لحق بها من أذى خلال فترة القهر النفسي - فترة الاستعمار وما يحيط بها من مخططات ظاهرة وخفية في سبيل القضاء عليها.

ومن هنا ندرك أن الواقع الذي يعيشه أولادنا تكتنفه عوامل كثيرة جداً، ومؤثرات قوية موجّهة، منها ما يعود إلى فترة الركود والانحطاط التي حفت بأمتنا، ومنها ما يعود إلى المخططات الماكرة المعادية التي تستهدف الأمة كافة والأجيال الصاعدة على وجه الخصوص.

(1) انظر مختصر تفسير ابن كثير ج 2 ص 615 وانظر سيرة صلاح الدين الأيوبي لبهاء الدين بن شداد وانظر المدخل إلى دراسة الثقافة الإسلامية للأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم طبع مكتبة الفلاح الكويت . وكتاب الغارة على العالم الإسلامي لـ أ.د. شاتليه ترجمة مساعد عبد الباقي ومحّب الدين الخطيب المطبعة السلفية ، وكتاب التبشير والاستعمار للأستاذ للدكتور عمر فروخ والأستاذ الدكتور مصطفى الخالدي طبع بيروت ، ومذكرات السلطان عبد الحميد طبع بيروت ، وكتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين الجزء الأول والثاني طبع مصر وبروتوكولات حكماء صهيون طبع بيروت ، وكتاب الخليج العربي أمام التحدي العقدي للدكتور سعيد حارب ط مكتبة الأمة ، دبي ، وكتاب التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جرين آيري بولاية كولورا دو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1978 ونشرته دار (م ا ر ث) للنشر في نحو (900) صفحة .

(2) انظر الصحف والمجلات والكتب التي نشرت في المشرق والمغرب خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، وانظر أولويات الحركة الإسلامية للدكتور يوسف القرضاوي ، وماذا خسر العالم بأنحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ، ومن هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي وغيرها .

لذا كانت العملية التربوية عملية ذات شقين:

الأول: عملية (بناء وتنمية هذه الشخصية).

والثاني: عملية حماية ووقاية هذه الشخصية.

وتقف تحديات كثيرة أمام هذين الشقين، سائلين المولى عز وجل أن يسدد الخطى وينير السبيل.

وتيسيراً لعرض الموضوع نتناول الركائز التربوية الأساسية:

1 - أهداف التربية الإسلامية ووسائلها.

2 - دور الأسرة المسلمة في التربية.

3 - دور المدرسة في التربية.

4- دور المجتمع في التربية .

ثانياً: المبحث الأول: أهداف التربية الإسلامية:

أرسل الله تعالى رسله وأنبياءه بدعوة التوحيد، والدعوة إلى مكارم الأخلاق. وما من نبي إلا دعا

إلى ذلك¹.

قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ

أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾² [المؤمنون:23].

وقال عز من قائل: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن

أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود:50].

وكانت خاتمة الرسالات المنزلة على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم التي ارتضاها ربنا سبحانه

وتعالى لعباده واضحة جلية في هذين الأمرين وفيما جاء من تشريعات في مختلف ميادين الحياة.

هذا إلى جانب مزيد بيان أسماء الله الحسنى وصفاته العليا³. ولخص التوحيد في سورة الإخلاص:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} ﴾. وفي

(1) انظر مبحث الأخلاق الإسلامية في كتاب (في الفكر الإسلامي) جامعة الإمارات ص 197 .

(2) انظر دستور الأخلاق في الإسلام ص 686-778 وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص 129-130 للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

(3) انظر بحث الأخلاق الإسلامية في كتاب (في الفكر الإسلامي) جامعة الإمارات ص 197 وما بعدها ، وانظر كتاب في رحاب أسماء الله الحسنى .

سورة الناس : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {1} مَلِكِ النَّاسِ {2} إِلَهِ النَّاسِ {3} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {4} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {5} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ {6}) [الإخلاص: 1-6] .

هذا الهدف الذي يرتبط بفطرة الإنسان ويشبعها مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون بما من جدعاء؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه - راوي الحديث - اقرؤوا إن شئتم: فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . .)¹ .

وفي توحيد الله عز وجل والعلم بما شرع رب العالمين والعمل به عبودية تامة لله عز وجل، تحرر الإنسان من كل عبودية أخرى؛ كمالٍ أو متعة أو هوى أو سلطان.

وفي هذا تبرؤ من كل شك أو شرك وتوجه تام إلى عبادة الله الواحد القهار، بما يملأ النفس البشرية من طمأنينة واستقرار وسعادة ، ودافع دائم إلى مرضاة الله سبحانه، فتستقيم حال الفرد والمجتمع وتحفظ كرامته بما يتفق مع إنسانيته فيتحرر من عبودية غير الله عز وجل ومن كل سلطان غير سلطانه وتصان حرمة نفسه وماله وعرضه، وبهذا ترسو أصول الحرية وقواعدها، وتصان بالتشريعات التي سنها رب العالمين لعباده.

وتحت هذا الهدف الرئيس تتضافر بقية الأهداف التربوية التي تنمي قدرات الإنسان البدنية والعقلية والتعبيرية والجمالية والاجتماعية والإنسانية والإبداعية، وتسمو صلته بالآخرين على اختلاف عقائدهم ومللهم وأزمانهم وأماكنهم. بل إن تربية الإنسان على العبودية لله تكسبه حسن الاتصال والانتفاع بكل ما في الكون من نبات وحيوان وجماد لما في صالح خلق الله من إنس وجن وحيوان وما أسمى هذه التربية، وما أبعد آثارها النفسية والسلوكية! . هذا إلى جانب التربية الأخلاقية والتربية الدينية التي تمدد بمعرفة أحكام الله عز وجل وآداب شرعه²، كل هذه الفروع التربوية يعاضد بعضها بعضاً لتحقيق العبودية لله وحده، وهي ذروة الحرية الإنسانية المنظمة المنضبطة بنظام الإسلام وشرائعه.

(1) أخرجه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد وغيرهم واللفظ للبخاري، انظر فتح الباري ج 3 ص 464 و 465 ومسند الإمام أحمد ص 329 ج 14 بتحقيق محمد شاكر، والآية 30 من سورة الروم.

(2) انظر (كلمات في مبادئ علم الأخلاق ص 38-40 للأستاذ الدكتور عبد الله دراز رحمه الله ، وكتاب دستور الأخلاق في القرآن) ،

وبهذا استخلف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل من قائل: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** ¹ [الأنعام : 165].

ومن هذه الأمة تكون الخلافة في الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، مصداقاً لقوله عز من قائل: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** ² [النور: 55].

هؤلاء المؤمنون الذين يعملون الصالحات ويستجيبيون لأمر الله تعالى ويحسنون إقامة حكمه بين عباده على أرضه من غير إفراط ولا تفريط، يرسون قواعد العدل والخير والمساواة بين الناس من غير عسف وظلم، لا يخافون في الله لومة لائم، شدة في الحق من غير عنف، ولين من غير ضعف.

وبهذا يحققون قول الله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..﴾** [آل عمران: 110].

فإذا اجتهد المجتمع الإسلامي وبذل قصارى جهده في تحقيق العبودية لله وحده بعيداً عن الميول والأهواء؛ اتجهت الطاقات جميعها في خطوط متوازية لتحقيق المقصد الأسمى؛ مرضاة الله عز وجل للفوز في دار الدنيا والآخرة؛ فلا تتعارض الجهود ولا تتصارع القوى، فإن روح الجميع وقواهم متجهة إلى هدف واحد، ولو تعددت السبل المشروعة لتحقيقه. ولا يكون التمايز إلا بالتقوى وحسن العطاء مع كمال الأداء؛ فتعم السعادة وتطمئن النفوس ويتم الاستقرار في جميع جوانب الحياة العامة والخاصة. وإذا أدرك كل منا مسؤولياته وواجباته ودوره في المجتمع، وأدرك معنى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: **(ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة)** ³.

(1) الأنعام 165 في الآية دلالة بانتهاء خلافة الأرض كلها إلى أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلالة قوله تعالى في الآية الأخرى (خلائف في الأرض) (يونس 14) الذي لا ينفي وجود خلائف أخرى وانظر تفسير الطبري ج 8 ص 114 .

(2) النور : آية 55 ، قال ابن كثير رحمه الله : (هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي أئمة الناس والولاية عليهم وبهم تصلح البلاد ، ويخضع لهم العباد ، وليبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمناء حكماء فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة ، مختصر تفسير ابن كثير ج 2 ص 615 .

(3) متفق عليه.

مهما تكن تلك المسؤولية جليلة، أو حقيرة، فالمؤمن يتحملها على أحسن صور التحمل، ويسعى إلى القيام بها على أحسن وجه، وينفذها بكل وسيلة مشروعة، مستفيداً من مختلف الطاقات المتخصصة، والأدوات المتجددة، والتقنيات المتطورة، ولا يرضى لإخوانه إلا ما يرضاه لنفسه، وإذا بدرجة الإتقان والدقة وحسن التنفيذ وجودة العطاء يأخذ مكانه في المجتمع الإسلامي، الذي ينهل من معين الإسلام عقيدة، وشرعية وأخلاقاً.

المبحث الثاني: دور الأسرة في التربية:

لن نفصل القول هنا فيما رغب الإسلام به من الزواج وحث عليه من تيسير مؤونته تحصيناً للجنسين، وما أمر به من حسن اختيار كل من الزوجين لصاحبه، وما بيّنه من حقوق وواجبات على كل منهما، وما أمرهم به من المعاشرة بالمعروف، وما وضحه من دور الأسرة في الطمأنينة والألفة والرحمة والمودة، وحسبنا هنا قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: 21]؛ وما حث به كلاً منهما على أداء واجبه، وحسن القيام به، والتعاون على البر والتقوى، وبكفينا في هذا المقام قوله عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: 6].

ولا يخفى على أحد ما ورد من آيات كريمة، وأحاديث شريفة في رعاية الأولاد، وحسن تربيتهم وتنشئتهم على الإسلام منذ نعومة أظفارهم عقيدة وشرعية وأخلاقاً؛ بدءاً من الأذان في أذن المولود ليكون أول ما يملأ مسامعه من عالم الدنيا توحيد الله عز وجل، إلى العناية به وأمره بالصلاة لسبع . . . فضربه لعشر . . . والحث على المساواة بين الأولاد ليكونوا في بر آبائهم سواء، وحث الأولاد على بر الوالدين وطاعتها والاعتراف بجميلها، والإحسان إليهما في كبرهما، والتلطف معهما، وما وراء هذا من أخلاق أسرية رفيعة تتمسك بالقيم الإسلامية فهماً وتطبيقاً¹.

وأبرز الإمام الغزالي حجة الإسلام دور الأسرة في التربية إذ يقول: (الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه. فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه؛ سعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه

(1) انظر تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم والأذكار للنووي 244 وما بعدها، والأدب المفرد ص 14-31 وص 43-47 وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج 2 ص 198 وما بعدها.

وكل معلم له ومؤدب. وإن عوّد الشر وأهل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له ، وقد قال عز وجل : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾** [التحریم 6]؛ ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى؛ وصيانتته بأن يؤدبه ويهدبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوّده التمتع، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية؛ فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره ¹.

وتقع المسؤولية التربوية في الأسرة على الأبوين مباشرة، وهي مسؤولية عظيمة؛ تتناول بناء شخصية الأولاد بناء إيمانياً وروحياً وأخلاقياً، يلخصه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...) ²، وتعليمهم بالتدرج أمور الدين والدنيا، وحملهم على التخلق بأخلاق الإسلام .

وما أبلغ قول رسول الله لابن أم سلمة: (يا غلام سَمِّ الله تعالى، وكُنْ بيمينك، وكُنْ مما يليك) ³، وتربيتهم من الناحية البدنية والصحية، وتأديبهم بآداب الإسلام في الأكل و الشرب والنوم، والدخول والخروج، وتعويدهم تحمل المسؤولية بما يطيقون، والزجر على اللامبالاة والإهمال والالتكال على الآخرين بغير مبرر ...، كما تتناول رعاية الأبوين للأولاد الجانب العقلي؛ بتنمية أسلوب التفكير السليم، والوقوف على الحقائق، والحكم عليها بعد أناة وحسن تفكير، وإكسابهم المعارف المحيطة بهم بطريق صحيح، وتنمية الوازع الديني ورعايته رعاية بالغة بالترغيب والترهيب، إلى جانب إكسابهم المحافظة على القيم الإسلامية في كل شيء، والآداب الاجتماعية ⁴.

تلك خلاصة مقتصرة في بناء الأسرة وتربية الأولاد. ولكن الواقع في كثير من بلاد المسلمين يجانب هذا مجانبة تتفاوت بين مجتمع وآخر، ويمكن تلخيص هذا الواقع فيما يلي:

ما يتعلق ببناء الأسرة؛ وهي المجتمع الأول الذي يحتضن أولاده ويربهم ليكونوا رجال الغد:

⁽²⁾ إحياء علوم الدين ج 3 ص 69-79 ومختصر منهاج القاصدين ص 159-161.

⁽³⁾ أخرجه الترمذي انظر قبسات من هي النبوة ص 29.

⁽⁴⁾ متفق عليه.

⁽⁴⁾ انظر في هذا مختصر منهاج القاصدين ص 160-161.

العقبات المادية المتصلة بغلاء المهور، والتقاليد المحيطة بأمور الخِطبة وتامم الزواج، مما لا صلة له بيسر الإسلام وتعاليمه.

تغيير مفهوم الكفاءة بين الزوجين، مع أن الإيمان والعمل الصالح والخلق الكريم، هو الكفاءة المطلوبة للزواج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**تنكح المرأة لأربع؛ لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**)¹.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه؛ إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**)². وفي رواية: فساد كبير.

ونجم عن هذا تأخر سن الزواج والعنوسة، ومما أسهم في هذا يسر الفساد لمن لا رادع له، حيث يشبع غريزته بما حرم الله تعالى. وساعد على هذا الاختلاط والتبرج والتبذل، وكل هذا يتنافى مع العفة التي دعا الإسلام إليها³.

التقليد الأعمى الذي التزمته بعض الأوساط الاجتماعية في أمور الزواج، والخروج عن أحكام الإسلام في الخِطبة والتعرف على أخلاق كل من الخُطيبين وما وراء هذا؛ مما تترتب عليه الآثار الوخيمة.

والسبيل إلى التصحيح التمسك بما أنزل الله تعالى، وبما سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أسهم في تخفيف بعض مشكلات الزواج، مشروع صندوق الزواج ومشروع الزواج الجماعي الذي أقامه المسؤولون وبعض الجمعيات الاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة⁴.

ما يتعلق بدور الأسرة في تربية الأولاد: ويمكن تلخيص أسباب تقلص دور الأسرة في التربية، أو الخلل الذي اعترى هذا الدور في الأمور الآتية:

عدم وضوح هذا الدور لدى كثير من الأسر الإسلامية .
إلقاء مسؤولية رعاية الأولاد التربوية إلى الخادمت والمشتغلين في خدمة الأسرة في بعض الأوساط. وإن أطلق بعضهم على من يقوم بهذه المهمة اسم المربيات.

(1) أخرجه البخاري ومسلم انظر نظام الأسرة في الإسلام للخطيب وزملائه ص 69.

(3) أخرجه الترمذي وابن ماجه المصدر السابق ص 72 و 66 .

(4) المصدر السابق ص 65 وكتاب الزواج المشكلة والحل للسيد رائد الجروان.

(4) انظر الزواج المشكلة والحل للجروان 70 وما بعدها.

اختلاف ثقافة من أسندت إليهم العملية التربوية عن ثقافة الأسرة؛ أعني الدين والقيم والعادات والأخلاق والآداب.

إتباع أساليب غير تربوية في رعاية الصغار وتسكينهم والخلص من ضوضائهم بطرح بعض الألعاب بين أيديهم، أو تخويفهم، أو تركهم أمام أجهزة التلفاز والفيديو، وإشغالهم بما ينفذ وما لا ينفذ . . .

إهتمام الوالدين بالجوانب المادية، وعدم تفرغ رب الأسرة - لكثرة أشغاله - لمتابعة أحوال أولاده. وترك أمر تربية الصغار للأم التي تجتهد في هذا حسب علمها ومقدرتها.

خروج المرأة إلى العمل لغير ضرورة فوّت دورها في حُسن رعاية أولادها، خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، وقد بيّن الرسول الكريم أهمية هذا الدور في قوله: (**خير نساء ركن الإبل، صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**)¹.

عدم وضوح حقوق وواجبات كل من الزوجين في بعض الأوساط الإسلامية، وتغليب العادات والتقاليد الدخيلة على ما شرعه الله عز وجل، وظن كثير منهم بأن واجب الرجل الكسب وتأمين حاجات الأسرة خارج المنزل، وواجب المرأة الطاعة العمياء، والخدمة الداخلية في المنزل، من غير تصور إسلامي بين لمكان الأسرة من النظام العام، ومكان الزوجين من الأسرة، ودورهما في تربية أولادها. انعدام القدوة الصالحة التي يجب أن يتأسى يتأسى بها الأولاد، ومعلوم ما للتربية بالقدوة من أثر عيد في التربية وتنشئة الأطفال على الطاعة والخلق القويم، وحسن العبادة، والتعامل مع الآخرين، وكثيراً ما يكون الوالدان أو أحدهما أسوة سيئة لأولاده.

هذا الجهل أو التجاهل أدى في كثير من الأحيان إلى انحرافات وخيمة العواقب.² عدم المساواة بين الأولاد، وتحقيق العدل بينهم، ميلاً إلى الذكور، أو الإناث أحياناً؛ خلافاً لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اعدلوا بين أبنائكم**)³. ولما قدم بشير والد النعمان رضي الله

¹ أخرجه البخاري حديث (3179 ، 4692 ، 4946) ومسلم (4589) وأحمد (2774) و (10121) وفي رواية (على طفل) وفي رواية على (يتيم) وله عدة طرق.

² انظر كتاب جنوح الأحداث للصواف طبع دمشق سنة 1950 إصلاحية الأحداث ص 27 وما بعدها ، حيث فيه من الوقائع على ألسنة الأحداث ما تقشعر له الأبدان.

³ في البخاري في كتاب الهبة (باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يجز حتى يعدل بينهم ، ويعطي الآخرين مثله ، ولا يشهد عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم (اعدلوا بين أولادكم في العطية) وأخرج الحديث المذكور (اعدلوا) النسائي (3627) (وأبو داوود (3077) وأحمد (17693) .

عنهما ليشهده على عطية للنعمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال: لا . قال: اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم**)¹.

عدم تشجيع الصغار بما يناسبهم والاستهانة بما يقدمونه من قول أو عمل. الإفراط في تدليل الأولاد في بعض الأوساط، حتى إذا ما شبوا لم يستطع الوالدان تلبية رغباتهم الكثيرة المختلفة، مما ينتهي بهم إلى العقوق أو الانحراف... من أخطر التحديات التي تهدد كيان الأسرة بل المجتمع وسائل الاتصال المتطورة؛ التي لم توظف كما ينبغي في خدمة الجيل وحسن رعايته، مما يعرض في بعض القنوات الفضائية، وما يلحق بهذا من أشرطة سمعية أو مرئية تحمل السموم إلى أولادنا؛ عن طريق أفلام ومسلسلات العنف، والتحلل واللامبالاة، سوى ما يُعدُّ عن قصد للأوساط الإسلامية من أشرطة جنس، وغير ذلك مما يندى له جبين الإنسانية.

الغزو الفكري الموجه من خلال المقروء والمسموع والمرئي لخلخلة العقيدة في النفوس، وسلخ الناشئة عن دينها وقيمها وعن مكارم الأخلاق. مما تبنته وتعهدهت المؤسسات المعادية للإسلام، وفي مقدمتها المؤسسات الصهيونية². الدعوات الصريحة إلى التحلل والإباحية وعدم الالتزام، والتحرر من كل القيود؛ التي تنظم حياة الإنسان الخاصة والعامة

كل ما سبق يدعوننا إلى إنقاذ أولادنا مما يحيط بهم، أو يترصص بهم والسبيل الوحيد لهذا ما يلي: أولاً: التوعية الإسلامية الجادة للأبوين، وتعليمهم أساسيات العقيدة الإسلامية وأحكامها نُظُمها وأخلاقها؛ من خلال أجهزة الإعلام ووسائله المختلفة.

ثانياً: إنشاء مراكز ثقافة الأسرة، يقوم عليها المؤهلون من الناحية الدينية والتربوية والاجتماعية؛ كمراكز الصحة التي ترعاها جميع الدول؛ فإن صحة العقيدة وسلامتها واستقامة السلوك، والتخلق بأخلاق الإسلام وآدابه ليس بأقل أهمية من سلامة الأبدان من الأسقام.

¹ (متفق عليه، وفي رواية (أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى. قال: فلا إذن) نظام الأسرة للخطيب ص 157-158 .

² انظر المصادر والمراجع ص 2 هامش 5.

ثالثاً: عدم خروج المرأة إلى العمل خارج بيتها إلا عند الضرورات، مع الاهتمام بميدان عملها، والتزامها بالحشمة، والضوابط الشرعية في لباسها وقولها وعملها. وفق قاعدتي: "الضرورات تبيح المحظورات" و "الضرورة تقدر بقدرها".

رابعاً: تقوية الضوابط الاجتماعية بين الأمة وإحياء صلة الأرحام كما أمر الله تعالى وأمر رسوله لما في هذا من وقاية بالغة للأسرة وأولادها.

خامساً: قيام كل من الوالدين بواجبه في حسن رعاية الأولاد؛ فان حُسن تربيتهم وتنشئتهم على مراقبة الله تعالى والقيام بما أمر والابتعاد عما نهى ليس بأقل أهمية من رعاية أبدانهم من الناحية الغذائية والصحية

سادساً: تصعيد طاقات الأولاد بصقل ميولهم، وتنمية هواياتهم بالاستفادة من أوقات فراغهم؛ لنمو ملكاتهم الإبداعية، ولسمو نفوسهم.

سابعاً: تشجيع الأولاد على مستوى الأسرة - على تحمل مسؤولياتهم وأداء واجباتهم المنزلية والشخصية والمدرسية، وعدم التواكل على الآخرين، أو الاستعلاء على أداء بعض ما يتعلق بهم.

ثامناً: إشراكهم بقضايا الأسرة عند ما يبلغون السن المناسبة لمثل هذه المشاركة؛ ليقدرُوا ما يبذله الوالدان، وليعيشوا قضايا الأسرة في أفراحها وأتراحها ومنشطها ومكرهها؛ ليصيروا فيما بعد أهلاً لأن يعالجوا قضايا مجتمعاتهم وأمتهم.

تاسعاً: اختيار الأفضل للأولاد فيما يطلعون أو يقتنون مع مراعاة رغباتهم فيما لا شطط فيه؛ مع كمال الالتزام بأحكام الإسلام وآدابه.

عاشراً: متابعة أحوال الأولاد متابعة صحيحة وتشجيع في سبيل الأفضل والأكمل، مع التعليل ما أمكن على حسب أعمار الأولاد العقلية.

أحد عشر: ملاحظة أصدقاء الأولاد والحث على صحبة الأخيار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) ¹.

الثاني عشر: تقويم العملية التربوية في الأسرة بين حين وآخر، من قبل الوالدين؛ للأخذ بالإيجابيات، ونبذ السلبيات، وحسن معالجة القضايا المستجدة مع نمو الأولاد وتطور أحوالهم . ومن

¹ أخرجه أبو داود والترمذي - قسبات من هدي النبوة ص 91 ، وانظر ما لرفقاء السوء من عواقب وخيمة. جنوح الأحداث للصواف.

الضروري بمكان ، الإفادة من أهل الخبرة والاختصاص ، خاصة عند بدوّ ظواهر جديدة فكرية أو سلوكية؛ ليحسن الوالدان الرعاية والتوجيه.

الثالث عشر: التعاون التام مع المدرسة من الناحية العلمية والتربوية، وتتبع وأحوال الأولاد فيها، وعلى علم الأولاد؛ لتتلاحم الجهود التربوية في الأسرة مع الجهود التربوية التي تبذلها المدرسة في سبيل تحقيق الغاية من هاتين المؤسستين الهامتين. وتتبع كل ما يتعلق بالأولاد من الناحية الفكرية والعلمية والسلوكية بما يكفل حسن الرعاية والتشجيع والتوجيه وعدم الاكتفاء بالشكل؛ فإن المضمون والكيف هو الأصل¹.

الرابع عشر : توثيق الصلات بالجوار على الأسس الإسلامية التي حث عليها القرآن الكريم وبيّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقيام بحقوق الجار، لما في تقوية هذه الروابط من وقاية لأولادنا، وحماية لسلوكهم؛ من خلال فهمنا لدلالات قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)²، وفهمنا لظلال قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وقوله: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَنْ يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)³.

الخامس عشر: أن يعرف أولياء الأمور في كل حيّ المحلات التجارية التي يتعاملون معها، ويتردد عليها أولادهم، ويتأكدون من حُسن معاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم، وألا تتعدى صلات الأولاد بتلك المحلات حدود(المرافق العامة) وقضاء الحاجات اليومية، مع حسن التعامل الذي تقتضيه تلك الصلات؛ دفعاً للتقليد الأعمى، أو التأثير بسوء الأخلاق، والعادات السيئة التي قد تتسرب من بعض الفئات والأوساط⁴.

¹ هذه المتابعة في جميع مراحل النمو، خاصة في دور المراهقة الذي لا تخفى أهميته على أحد.

² أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي - جمع الفوائد 425/2.

³ المرجع السابق 426/2.

⁴ انظر جنوح الأحداث الصادر عن إصلاحية الأحداث للأستاذ الصواف ص 15 وما بعدها ، طبع دمشق (1950) وكتاب ظاهرة جنوح الأحداث في مجتمع الإمارات العربية المتحدة: سلسلة الدراسات الاجتماعية ، إعداد لقيف من الباحثين بإشراف الدكتور محمد هويدي ، كتاب البيان جمعية الاجتماعيين ، خاصة الجداول الإحصائية ، وانظر جنوح الأحداث في دولة الإمارات العربية المتحدة. أ.د. محمد رياض الخاني - جمعية أم المؤمنين - عجمان.

السادس عشر: الاهتمام بمرافقة الأولاد واصطحابهم إلى المساجد وإلى المؤسسات الثقافية، وإلى الحدائق، ومواطن الترويح المشروع لتقوية الروابط الأسرية، ووقاية الأبناء من الزلزل. وحبذا لو شارك عدد من الأسر في مثل هذه اللقاءات؛ لتقوية الروح الجماعية، وتوثيق الألفة، وتقوية روابط الأخوة بين الآباء وبين الأولاد. وفي هذا من التعاون ما لا يخفي من خلال بعض المسابقات الرياضية والثقافية، وتنمية المهارات والملكات، بما يعود على الناشئة من خير.

السابع عشر: أن تعيش الأسرة جميعها الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكاً، لا أن يعد الأولاد للإسلام، بل يعيشونه بعقولهم ووجدانهم وسلوكهم، وأن يصدق العمل القول، والتطبيق العلم، فعلم بلا عمل لا خير فيه، وعمل بلا علم لا جدوى منه¹.

الثامن عشر: الاعتزاز بالشخصية الإسلامية، وترك التقليد الأعمى لغير المسلمين، في المأكل والمشرب والملبس، والاحتفالات والأعياد والمناسبات، امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قال: (من تشبه بقوم فهو منهم)²، وقال صلى الله عليه وسلم محذراً ومنبهاً: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعموهم. قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟؟ قال: فمن؟؟؟)³.

المبحث الثالث: دور المدرسة في التربية:

1- نشأ التعليم في الإسلام على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كان يجلس في المسجد بعد صلاة الغداة، فيتحلق حوله أصحابه حلقاً حلقاً، فيعلمهم القرآن والفرائض والسنن. وكانوا إذا تعلموا من الرسول صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. . . قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً لقد تخرج الرعيل الأول في مدرسة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بنهلهم من القرآن الكريم مباشرة، وتعلمهم السنة بالتطبيق العملي، فعاشوا القرآن الكريم بعقولهم ووجدانهم ومعاملاتهم وسلوكهم. وتأسوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتخلقوا بأخلاقه، وساروا على آدابه، عاشوا الإسلام قلباً وفكراً، وراقبوا الله عز وجل في جميع أحوالهم

¹ انظر اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي ص 8 وما بعدها.

² أخرجه أبو داود حديث 3512، وأحمد حديث 4868، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا النصارى..." أخرجه الترمذي - حديث 2619.

³ أخرجه البخاري حديث 6775، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقليل: يا رسول الله كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك!!!!" البخاري حديث 6774، وأخرجه أحمد وابن ماجه. وفي رواية: "لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" - صحيح البخاري حديث 3197.

ظاهرة وباطنة، عامة وخاصة، وعلى منهج الرسول الكريم وبنهج أصحابه الكرام تابع من جاء بعدهم مسيرة العلم والعمل، فتخرجت الأجيال في حلقات الأئمة الأعلام قوية الشخصية بإيمانها، واسعة العلم بأمور دينها وديناها، مستقيمة السبيل في معاملاتها وسلوكها؛ لأن المنهج القرآني في تربية الإنسان هو المنهج الأمثل الذي لا يصلح الإنسان إلا به، ولا يصلح غيره للإنسانية.

ويمكننا تلخيص هذا المنهج عقيدة وشريعة وعبادة وسلوكاً، وامثالاً لأمر الله تعالى فيما يتعلق بتربية الناشئة خاصة؛ مما جاء في وصية لقمان لابنه، قال عز وجل من قائل في سورة لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ {13} وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالُهَا فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ {14} وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {15} يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ {16} يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ {17} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ {18} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ {19} [لقمان: 13-19].

وفي الامتثال لأمر الله في قوله عز من قائل في قصة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

وفي الثبات على العقيدة والحق عند الشباب قوله عز من قائل في سورة الكهف: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ {13} وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِهَاءً لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ {14} [الكهف: 13-14]؛ وما سطره الصحابة الكرام من ثبات في العهد المكي.

هذا المنهج الذي يجب أن نربي عليه أولادنا والأجيال في البلاد الإسلامية. ولننظر إلى مناهج التعليم ومدى التزامها بهذا المنهج، ولننظر إلى القائمين على العملية التربوية ومدى مطابقتها الأوصاف

والشروط التي يرتضيها الإسلام عليهم. ولنسع إلى التغيير الشامل بما يكفل نجاح العملية التربوية في بناء الشخصية المسلمة بناء متكاملًا ووقايتها من عادات الزمان والتحديات المختلفة .

والموضوع يحتاج إلى ما يلي :

1 - المعلم القدوة في كل شيء وقد أدرك هذا بعض سلفنا فضمنوا هذه المعاني في وصايا مؤدبي أولادهم؛ قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: " ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسنُ عندهم ما صنعتَ والفُبح عندهم ما تركت. علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه، ورؤهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه؛ فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلةٌ للفهم، وعلمهم سننَ الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتوكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك ¹.

إعداد المعلم القدوة يقتضي إعادة النظر في معاهد المعلمين ودورها، وفي دور المعلمين العليا ومعاهد التربية المتوسطة والجامعية، وفي القائمين عليها، كما يقتضي الالتزام بالدورات التدريبية الطويلة، التي يعين فيها المعدون لتعليم الإسلام حياة يومية حقيقية، بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وإلى المنهج الإسلامي الواضح، فإن التقدم العلمي التطبيقي والنظري منوط بالوعي الديني، فقد أثبت التاريخ أن أمتنا لما قويت ثقافتها الدينية تقدمت في ميادين العلوم المختلفة، ومعروف موقف الإسلام من العلم والعلماء وطلاب العلم، وتشجيعه المتميز لذلك كله * * .

2- أسلمة التعليم؛ ولا نعني على الإطلاق زيادة حصص التربية الإسلامية بل تدريس جميع العلوم من منظار إسلامي، وتحت قبة الإسلام، فإن للمسلمين أيادي بيضاء سخية في جميع ميادين العلوم لا يذكر منها شيء. أمام ما يدرس لأبنائنا مما يتضمن الإشادة بعلماء الغرب وتمجيدهم، اللهم إلا ما يذكر في تاريخ العلوم عند المسلمين. والأصل أن يبين فضل المسلمين في كل علم من العلوم؛ ليدرك الناشئة أثر الإسلام في التقدم العلمي، ودور العلماء المسلمين في تقدم تلك العلوم؛ مما يعث في الطلبة روح الطموح لمتابعة سيرة سلفهم.

¹ العقد الفريد ج 2 ص 117 والمقصود بتجنيب محادثة الأولاد للنساء؛ النساء الأجنبية، لما في هذا الأمر من مظنة الفتنة، وسدًا لذريعة التخلق بأخلاقهن والتشبه بهن مما يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه رجل الغد من قوة ورجولة وفروسية ونجدة وحماية للحق، وجاء في وصية هارون الرشيد لمؤدب ولده: (يا أحرر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمره قلبه فصير يدك عليه مبسوطه، وضاعف من واجبه، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلم *، وأمنه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه... ولا تمنع مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقربه ما استطعت بالقرب والملاعية؛ (من اللغة، أي بالحوار) .

- 4- التصنيف الموضوعي البعيد عن الميول والأهواء والدعوة إلى العقائد المنحرفة، نتيجة الترجمات لكثير مما يقدمه الغرب أو الشرق غير المسلم.
- 5- بناء العملية التربوية التعليمية على الأسس التربوية العلمية الإسلامية، والإفادة من كل جديد وتوظيفه في خدمة الإسلام.
- 6- الاهتمام في المراحل الأولى من التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية ببناء الشخصية الإسلامية بجميع مقوماتها، وتوثيق الصلة بين الحاضر والماضي، وتعريف الطلبة تعريفاً عميقاً بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وبأئمة الأمة في كل عصر ليفيدوا من القدوة الحسنة وينتفعوا من ماضيهم لحاضرهم، ومن حاضرهم لمستقبلهم، ويتلقى العلم بما ينبغي له من حلة الأخلاق الإسلامية ويوظفه لخدمة الإنسانية، فيما شرع الله عز وجل بعيداً عن أية مضرّة أو مفسدة.
- 7- أن يشارك الطلبة في المراحل الجامعية في التحصيل العلمي الذاتي، و يؤخذ بأيديهم؛ لتنمية ملكاتهم وتشجيعهم على البحث والتطبيق، بما يهيئ لهم شق الطريق إلى الإبداع والتفوق والاختراع.
- 8- الإفادة من جميع التقنيات الحديثة، والوقوف على الحقائق العلمية، وتطبيقاتها، وبيان آثارها وحكم الإسلام فيها، لأن الإسلام دين حياة وعلم وعمل وسلوك وأخلاق لا عقيدة فلسفية فكرية لا صلة لها بالعمل.
- 9- استمرار المتابعة والتقويم في سبيل حسن التطبيق، من قِبَل القائمين على العملية التربوية أفراداً ومؤسسات، وقيام كل جهة بتمام مسؤولياتها، ومن ورائها رعاة الأمة والمسؤولون عنها¹ وقبل هذا وبعده إخلاص العمل لله عز وجل ومراقبته.

المبحث الرابع: دور المجتمع في التربية:

أرسى الإسلام أسس قيام المجتمع المسلم وقواعده الثابتة، التي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، بما يكفل له دوام العزة والسعادة والطمأنينة تحت مظلة الأخوة في الله والنصح فيه، واتحاد الكلمة، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتكافل الاجتماعي، في مودة ورحمة وتعاطف وإيثار ومساواة وعدل ورحمة للصغير وتوقير الكبير ومعرفة حقوق العلماء فيه بما لم يعهد التاريخ له مثيلاً ويتجلى هذا واضحاً فيما يأتي:

قال عز من قائل: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)** [الحجرات:10]

⁽¹⁾ ويؤكد دور المحتسب في هذا المقام أهمية هذه المتابعة في نجاح العملية التربوية، وانظر نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري. ص103-105. وانظر الباب الأول (فيما يجب على المحتسب من شروط الحسبة ولزوم مستحباتها) 6-10.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36] .

وقال سبحانه : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة 177]

5- وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر 9] .

6- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة 71] .

7- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعي بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مُشَدُّهُمْ على مُضَعَّفِهِمْ، ومُتَسَرِّبِهِمْ على قَاعِدِهِمْ (1) .

8- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي إلي النصح لي) (1) .

(1) هذا الحديث مروى عن علي رضي الله عنه. معنى قوله: أدناهم أي أضعفهم ، وأقلهم منزلة ، ويجير؛ أي يعطي العهد والأمان (عهد منع وحماية من أن يؤذى في دمه وعرضه وماله). وقوله: (يد) أي عون قوة بين بعضهم البعض. (ويرد مشدهم على مضعفهم) أي يعين القوي الذي يملك الرواحل والدواب النشطة القوية الضعيف صاحب الدواب الضعيفة ، وقوله: (متسريهم على قاعدتهم) ، أي يعين الخارج إلى القتال غيره من القاعدين عنه لأعداء مشروعة يعود بنصيبه من الغنائم ، أخرج أبو داود ، وأصله في الصحاح والسنن انظر سنن داود حديث 2371 ومسند أحمد حديث 913 .

9- وعن جرير قال: (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أبايعك على الإسلام، فقبض يده وقال: النصح لكل مسلم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه من لم يرحم الناس لم يرحمه الله عز وجل)². وقام جرير بن عبد الله خطيباً في المسلمين فقال: " أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تسمعوا وتطيعوا. . . . أما بعد: فإني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعه بيدي هذه على الإسلام؛ فاشترط عليّ النصح، فورب هذا المسجد إني لكم ناصح "³.

10 - عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين. . . .)⁴

11- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب دري إضاءة؛ فلو بهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم لا تباغض. . .)⁵.

12- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)⁶.

13- وقال ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد. . . . والحمى)⁷.

14- قال عز من قائل: ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 104].

(1) أخرجه أحمد عن أبي أمامة مسند أحمد حديث 21167.

(3) أخرجه أحمد في مسنده حديث 18370، وأصله في مسلم حديث 84 .

(4) أخرجه الإمام أحمد في المسند حديث 18397 .

(1) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري ، والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، انظر مسند أحمد ج1 ص351، وصحيح البخاري بحاشية

السندي ج1ص2، وصحيح مسلم ج1ص74 حديث 95 . وانظر الترغيب والترهيب ج2ص576 ، والجامع الكبير ج1 ص195 ، وكشف الخفا

ج1 ص498 حديث 1324 .

(5) متفق عليه.

(6) متفق عليه.

(7) متفق عليه.

15 - وقال سبحانه: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾ [آل عمران: 110] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:125]

16- وقال عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . [الأنفال:25].

17- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) ¹.

18- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟. فإذا لقن الله عبداً حججته، قال: يا رب رجوتك وقرقت من الناس) ².

19- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم، فينكرون المنكر) ³.

20- عن أبي بكر رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب) ⁴.

وفي رواية: (والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب) ⁵.

21 - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم؛ وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة) ⁶.

(1) أخرجه مسلم حديث 70 ، والترمذي حديث 3098 وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي حديث 4922، وأبو داود حديث 963 و 3777 .

(1) سنن ابن ماجه حديث 4007 كتاب الفتن ، ومسند أحمد حديث 10782 و 10815 وعنده (قال : رَبِّ رَجَوْتُكَ وَخَفْتُ النَّاسَ) .
(2) أخرجه الإمام أحمد حديث 15997 و 22097 .

(3)+(4) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه والطبري وأخرج الحديث الثاني الترمذي وصححه وابن ماجه والطبري والحاكم وصححه، انظر تفسير الشوكاني فتح القدير ج 2 ص 84 .

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث (17057) .

تلك أهم الأسس والقواعد التي يبني عليها المجتمع الإسلامي، فتميزه بخصائص لا نراها في غيره من المجتمعات. هذا المجتمع له دور كبير في تربية الناشئة؛ خاصة من طريق التربية بالقدوة، والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذا كانت المدرسة المؤسسة التربوية المحدودة بنائها وبأعضاء هيئة التدريس، وما يلحق بهذا من سلك تعليمي تربوي، لها مكانتها في التربية الموجهة ولها أثرها المباشر في تنمية أولادنا تنمية صالحة إن شاء الله؛ فإن المجتمع المدرسة الكبرى التي يعيش فيها أبنائنا، يتلقون فيها دروس الحياة والتربية من مختلف فئات المجتمع.

والمجتمع صورة ثقافة الأمة، وتمسكها بعقيدتها وقيمها . . . فالمجتمع الإسلامي سند للمدرسة في العملية التربوية، وسند للأسرة، وهو سند حي بسلوك أبنائه وتصرفاتهم. وكلما سلّم المجتمع الإسلامي من الشبهات والانحراف كان أثره الإيجابي أكبر وأقوى. ولا يجد أولادنا تناقضنا بين ما يعيشونه في البيت والمدرسة والمجتمع، فالصدق واحد في الجميع وكذلك الإخلاص ومراقبة الله تعالى، والأمانة والنصح. . . فإن وقع زلل من فرد كان له الجميع بالنصح. وإن جاهر بمعصية كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صوته القوي الحاسم الذي يردُّ الحق إلى نصابه.

وقد أدركنا في نعومة أظفارنا ألواناً كثيرة من الرعاية والتوجيه من مختلف فئات المجتمع؛ في الدعوة إلى الخير، وفي البعد عن الشر، وفي إغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج عرفه الناس أم لم يعرفوه، وفي رعاية الصغار والمحافظة عليهم، وفي معرفة الغريب عن الحي، وفي ردع من ينزع إلى شر أو سوء. كل ذلك ثمرة من ثمرات المجتمع الملتزم بما أنزل الله تعالى.

ويتفاوت واقع مجتمعاتنا الإسلامية في هذا الالتزام تفاوتاً متبايناً؛ يدور بين المجاهرة بالصغائر والوقوع في الكبائر على مرأى من عباد الله، وبين جمهرة الناس؛ فقد تنتهك الأعراض جهاراً في بعض البلاد من غير أن يحرك الحاضرون -على كثرتهم- ساكناً، وغير ذلك من سطو وعدوان وابتزاز، واستدراج صغار إلى الفحش، والوقوع في المخدرات أو المسكرات وغير هذا.

وقد نجد في بعض البلاد عصابات تختص بالابتزاز أو التزوير أو العدوان وغير هذا، وكل هذا له آثاره السيئة في الناشئة .

هذا إلى جانب ما يراه أولادنا في المجتمع مما لا يمتُّ إلى ديننا أو قيمنا بصلة من قريب أو بعيد؛ في الملابس والمأكل والمشرب والسلام، والترويح والأفراح والمناسبات المختلفة في السراء والضراء، وكثير من المناظر الدخيلة، بقصد أو بغير قصد.

فلا بد من مراعاة أمور كثيرة في سبيل الإصلاح، يمكن ذكر بعضها فيما يلي:
مراقبة الاستيراد ومنع السماح لكل ما يخالف ديننا الحنيف من ملبس أو مأكّل أو مشرب.
وسائل اللهو والترويح تحتاج إلى مراقبة ومتابعة دائمة كي لا يتسرب منها إلى ديارنا ما لا خير فيه. والسعي الجاد في إيجاد وسائل بديلة عن كل ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه. لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

مراقبة الأماكن المخصصة للترويح، والألعاب الإلكترونية.

تخصيص صالات للأطفال دون الثالثة عشرة، وصلات للفتيان من ثلاثة عشر عاماً حتى الثمانية عشر، وصلات للكبار. ومن الملاحظ في بعض البلدان العربية والإسلامية أن بعض من يقيمون المحلات الترويحية لا يمتنون إلى الخلق الكريم بصلة، بل إن محلاتهم وأدواتهم شبك صيد للناشئة البريئة المغفلة عن المنكرات تدمر مستقبل كثير منها.

حسن متابعة الإشراف على الأماكن المخصصة لذلك.

الإكثار من النوادي الثقافية والرياضية والاجتماعية، مع وضع مناهج هادفة لرعاية الناشئة، وإسناد الإشراف إلى متخصصين موثوق بدينهم وأخلاقهم.
تطعيم الأندية الرياضية بالجوانب الثقافية، والموجهين من أصحاب الاختصاص والوعي الديني.
تخصيص مكاتب عامة للأطفال تضم ما يحتاج إليه أولادنا من كتب ووسائل سمعية وبصرية، تأخذ بأيديهم إلى التميز والإبداع.

تشكيل مجالس أحياء من رجال كل حي؛ يجتمعون بين وقت وآخر ينظرون فيما تحتاج إليه أحيائهم السكنية من نواح ثقافية وتربوية؛ وذلك بتنمية روح العمل الجماعي التطوعي.

تبادل اللقاءات بين أبناء الحي الواحد في المناسبات المختلفة؛ وبين رجالات الأحياء في سبيل تقوية أواصر الصلات الاجتماعية.

تشكيل مجالس لقطاعات المدن الكبرى مهمتها متابعة أحوال قطاعاتهم الاجتماعية والمحافظة على القيم الدينية والأخلاقية.

ومن أبرز مهمات مجالس الأحياء أن يعرف الجوار بعضهم بعضاً؛ للمحافظة على وحدة الحي وكيانه الاجتماعي والتربوي، ومعرفة الدخيل من غيره سداً لذرائع الشر والأذى؛ وللمحافظة على الناشئة وحسن سلوكهم واستقامتهم.

كثير من البلدان تخصص منتزهات للنساء والأطفال، وأخرى للذكور، وحدائق للأسر. ولو أن هذا النظام طُبِّق في البلاد الإسلامية الأخرى لَجُنِب أولادنا مزلق كثيرة مما لا تُحْمَد عُقْبَاهَا، ولسدت بوابات مهاوي الردى المتنوعة.

بث روح التعاون بين أبناء المجتمع والاعتماد على المنتجات الوطنية، والتوجيه نحو التصنيع والاستفادة من المصادر الطبيعية والحيوانية؛ ليألف أبناءنا تحمل المسؤولية.

حبذا لو تقام دورات تدريبية ترويجية في إجازة الصيف لمنسوبي النوادي الثقافية والاجتماعية والرياضية تشرف عليه وزارة الشباب وتستعين بالمتخصصين لوضع برامج عملية تتناول جميع الأنشطة لإكساب أولادنا مهارات مختلفة تناسب مع ميولهم وأعمارهم، إلى جانب المحاضرات والمسابقات الثقافية، فيفيد أولادنا من أوقات فراغهم في حاضرهم ولقادات أيامهم .

هذا إلى جانب الدورات التي تقيمها المعاهد والمدارس والمؤسسات التعليمية والتربوية لرفع مستويات أولادنا في اللغات والعلوم .

إنشاء نواد للمبدعين تأخذ بأيديهم في صقل مواهبهم، وتفتح ملكاتهم، والرقى في إبداعاتهم العلمية والأدبية والرياضية والفنية.

إن ارتباط أبنائنا بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة، يقوي شخصياتهم، ويقوم سلوكهم، ويزيد من حصيلتهم العلمية والثقافية والتربوية، ويقلل من الوقوع في الخطأ أو الانحراف.

وبهذا تسقط كثير من التحديات المقبلة أمام مقاصد هذه المؤسسات التربوية الثلاثة بوعيتها وحسن أدائها: البيت والمدرسة والمجتمع. إننا بحاجة إلى تعبئة عامة صادقة مخلصه، عاملة في جميع ميادين الحياة، في سبيل النهوض مما نحن فيه، والسعي إلى استعادة المكانة اللائقة لأمة القرآن العظيم، وبذل ما في الوسع من أجل حفظ الأمانة وأداء الرسالة، وإنقاذ أمتنا والإنسانية من الهلاك.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتعم الخيرات. فله الحمد سبحانه وتعالى في الأولى والأخرى، وفي الابتداء والانتهاء .

وبعد:

فقد وقفنا على الأسس التربوية التي تستند إليها تربية الناشئة؛ وأهمها الأسس الفكرية والاجتماعية والنفسية ، وعلى أن الإصلاح محله النفس التي تدور عليها العملية التربوية، مصداقاً

لقوله تعالى : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال 53] وأنه ما من تحول من الأفضل إلى ما دونه إلا بسبب التغيير النفسي بجميع مفهوم التغيير من دلالات.

ووقفنا على أسباب الضعف العام الذي لحق بأمتنا الإسلامية؛ بسبب تغير مفاهيمها الإسلامية وقيمها؛ وبسبب تعطيل طاقاتها رُوحاً من الزمن لصد الزحف الصليبي قديماً والتحرر من الاستعمار والانتداب والتبعية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية حديثاً، وما يلحق بهذا . . .

وكان لزاماً علينا أن نبين أهداف التربية الإسلامية الأصلية والتبعية المتمثلة بإعداد العبد الصالح؛ ليتحرر من كل عبودية لغير الله تعالى. ووقفنا على محاضن تربية الناشئة وعرفنا دور الأسرة والمدرسة والمجتمع في بناء الشخصية الإسلامية. ثم تعرفنا على أهم أسباب الخلل الذي اعترى كلاً منها .

وبيّنا أهم ثلاثة أسباب في عوائق بناء الأسرة المسلمة، وخمسة عشر سبباً اعتورت دور الأسرة التربوي؛ وأهمها ضعف الثقافة الإسلامية عند الزوجين، وتخلي الوالدين عن مسؤوليتهما التربوية لغيرهما بسبب انشغالهما بمتطلبات الحياة المادية وغيرها. وقدّمت سبعة عشر مقترحاً لاستعادة هذا الدور وبناء شخصية أولادنا ووقايتها من تلك التحديات .
ثم وقفنا على دور المدرسة التربوي، وعلى أهم ما يعضده ويقويه في تسعة مقترحات تناولت المعلم والمنهج والوسائل .

كما وقفنا على دور المجتمع المسلم في التربية؛ ببيان أهم أسس بنائه، مؤيدة بنيف وعشرين شاهداً من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وبينا تفاوت واقع مجتمعاتنا الإسلامية لاستيفائها تلك الأسس . وقدّمت خمسة عشر مقترحاً لاستعادة الدور التربوي لمجتمعنا الإسلامي .

سائلاً الله عز وجل أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت، وهذا جهد المقلّ. ومؤونتي إن شاء الله تعالى إخلاص النية، ونبل المقصد، وشرف الغاية.

والحمد لله رب العالمين

كتبه: أ.د. محمد عجاج الخطيب